مشروع تطعيم الزيتون البري

في منطقة جبال السراة بالمملكة العربية السعودية

المهندسون الزراعيون محمد فريد منيب ومحمد السيد أيوب

جبال السراه

السراه في اللغة الإرتفاع فقد تأتي بمعنى الظهر ، والسراه من الطريق أعلاه . وجبال السراه سلسلة مرتفعات تبدأ من جنوب شرق الطائف وتسير جنوباً إلى قرابة الحدود اليمنية حيث تنتهي عند وادي التثليث ، ويبلغ طولها نحو ستمائة كيلو متر . ومن الصعب وضع حدود جغرافية محددة لها ، ولكن بالتقريب تقع أول السلسلة شمالا عند خط العرض ٢٠ — ٢١° شمالا وخط طول ٤٠ شرقاً ، وتنتهي جنوباً عند خط العرض ١٧ وخط طول ٣٠ — ٤٣ شرقاً . وتكون هذه السلسلة حداً فاصلا طبيعياً بين تهامه على ساحل البحر الأحمر وبين نجد ، ويبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر نحو ألفي متر (من ١٥٠٠ — ٣٠٠٠ متر) ، وبها ثلاثة أودية كبيرة تبدأ من منطقة جبال السراه وتنحدر شرقاً تجاه نجد وهي حسب ترتيبها من الشمال إلى الجنوب وادي تربه ووادي رنيه ثم وادي بيشه ، وهي أودية طويلة يزيد طول كل منها عن ٢٠٠ كيلو متر — ويوجد عدا ذلك عدد لا يحصى من الوديان الصغيرة . والمنطقة كلها وعرة المسالك يصعب ارتيادها وفي كثير من المناطق يتعذر استعمال السيارات ويضطر المسافر إلى الانتقال على الدواب أو السير على الأقدام .

---

* المهندس الزراعي محمد فريد منيب : خبير البساتين بوزارة الزراعة السعودية سابقاً ووكيل قسم البساتين بوزارة الزراعة بالاقليم المصري سابقاً .

* المهندس الزراعي محمد السيد أيوب : خبير وقاية المزروعات بوزارة الزراعة السعودية سابقاً وكبير الاختصاصيين المساعد بمصلحة وقاية المزروعات بوزارة الزراعة .

وقد خص الله هـــذه المنطقة بمزايا عديدة ، فجوها معتدل صيفاً بارد شتاءا وهواؤها جاف منعش ، وتكثر فيها المناظر الطبيعية الخلابة وبها زرع وشجر مختلف ألواته متعدد أصنافه ، منه ما ينبت برياً على سفوح المرتفعات وفى أسفل الوديان ، ومنه الحاصلات التى ينتجها الزراع ، كما خصت العناية الإلهية السكان بجمال الخلقة وهدوء الطبع ، ولهم تقاليدهم وعوائدهم الخاصة التى تختلف عن باقى سكان المملكة السعودية .

وهذا الجزء من المملكة آهل بالسكان فالقرى تتقارب من بعضها البعض لا تكاد تغيب عن نظر المتنقل بينها ، وتزداد كثافة السكان فى الجنوب والوسط أما الشمال فقد آثر أهله الهجرة إلى المدن سعياً وراء العمل ، وإذا قلت الأمطار واعتلت الأرض هاجر أكثر السكان إلى المدن فإذا جادت السماء بمائها عادوا إلى الأوطان مسرعين يزاولون مهنتهم المحببة إليهم ألا وهى فلاحة الأرض فهم من أنشط زراع الجزيرة العربية وقد تخصصوا وأتقنوا إنشاء المدرجات الجبلية .

وتعتمد الزراعة فى هذه المنطقة على الأمطار والآبار فهى أكثر بلاد المملكة أمطاراً حتى أن البعض يطلق عليها « منطقة السحاب » ويختلف متوسط الأمطار السنوية من ١٢ — ١٦ بوصة .

الزيتون البرى

تنمو بمنطقة جبال السراه أشجار خشبية متنوعة منها الأثل والسنط والعرعر والسدر وأنواع من الفيكس ، ولكن أكثر الأشجار الخشبية انتشاراً أشجار تسمى العتم إذ توجد بكثرة هائلة حتى أن البعض قدرها بنحو عشرة ملايين شجرة وتواضع البعض الآخر فى التقدير فذكر أنها نحو مليونين . وقد تنبهت وزارة الزراعة إلى هذا العدد الضخم من العتم ، وخاصة أن بعض الرواد ذكر أن العتم هو الزيتون البرى ولذا عهدت الوزارة إلينا بالسفر إلى منطقة جبال السراه لدراسة الموضوع وإبداء الرأى فيه وقد أمضينا هناك ثمانية أيام (من ٢٣ — ٣٠ ديسمبر ١٩٥٥) وتجولنا فى كثير من المناطق . وقد شاهدنا أشجار العتم منتشرة على جميع الجبال هناك ، وتختلف درجة كثافتها كما يختلف نموها الخضرى فقد تكون

الأشجار متباعدة عن بعضها البعض عشرات الأمتار وقد تقترب بحيث يكون بين الشجرة والأخرى ما لا يزيد عن مترين ، ومتوسط ارتفاع الأشجار أربعة أمتار

(شكل رقم ١)

أشجار زيتون برى نامية على قمم الجبال

وذلك الأشجار النامية على قمم الجبال وعلى السفوح (شكل رقم ١) وقد يصل الارتفاع إلى ١٠ متر أو أكثر فى بطون الوديان (شكل رقم ٢) والأشجار متناثرة بصورة تدل على أنها ليست من غرس الإنسان .

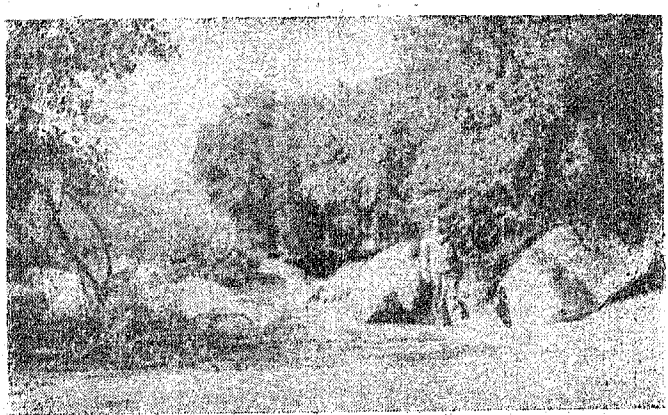

(شكل رقم ٢)

أشجار زيتون نامية نمواً خضريا ممتازاً فى بطون الوديان

هل العتم هو الزيتـــون البرى ؟

وبالاطلاع على المراجع العلمية ومطابقة وصف الشجرة رجح لنا أن العتم هو الزيتون البرى من الجنس « أوليا كريزوفيلا » فقد جاء فى مراجع كثيرة منها « أصل النباتات المزروعة » لدى كاندول و « شجرة الزيتون » لعلى نصوح الطاهر أن الجزيرة العربية كانت من بين البلدان التى تعتبر موطناً للزيتون منذ العصر الحجرى الحديث حيث كانت كميات الأمطار التى تسقط على الجزيرة العربية فى ذلك التاريخ كافية لنمو الغابات . وقد شاهدنا فى مدينة الطائف وهى أكبر المدن فى جبال السراه آثار معاصر زيت قديمة جداً ، فهل كانت معاصر لاستخراج زيت الزيتون ، وهل كانت هذه الأشجار مثمرة ثم تدهورت بسبب قلة الأمطار أو لأسباب أخرى غير معروفة ؟

وصف شجرة العتم :

الساق : يصل قطر الشجرة المعمرة إلى نحو نصف متر أو أكثر ، والأشجار لاتروى ولا يصلها من الماء إلا ما يسقط عليها من ماء المطر ، والأشجار التى على القمم وعلى منحدرات الجبال لا يبقى تحتها الماء ولذا فهى صغيرة الحجم ، أما الأشجار التى تنمو فى الوادى فينالها كميات من الماء أكثر كثيراً من تلك التى على القمم والمنحدرات وذلك لأن مياه المطر تتجمع وتنحدر فى اتجاه الوادى وإذا زادت فإنها تسيل ، والأشجار النامية فى الوادى نضرة كبيرة الحجم ملتفة الأوراق .

الأفرع : الأفرع الكاملة النمو مستديرة ، أما الأفرع الحديثة فهى مضلعة ذات أربع زوايا لونها ضارب للبياض .

الأوراق : مستطيله رمحية الشكل ذات طرف مدبب ، ويتفاوت حجمها تبعاً لكمية المياه التى تتناولها الشجرة ، فالأشجار التى على القمم والمنحدرات نجد أوراقها صغيرة الحجم لا يزيد طولها عن ثلاثة سنتيمترات وعرضها يقل عن سنتيمتر ، أما فى بطون الوديان حيث تتمتع الأشجار بقسط أكبر من مياه الأمطار نجد الأوراق أكبر حجما وقد يصل طولها إلى نحو ٧ سم وعرضها نحو ٢ سم . وهى عادة

جلدية سطحها العلوى لونه أخضر داكن أما السفلى فغالباً مغطى بزغب أبيض فضى وأحياناً بنى اللون أو ذهبى وعنق الورقة قصير .

الأزهار : الأزهار صغيرة الحجم متجمعة بجوار بعضها البعض — بعضها مذكر والآخر مؤنث وهناك أزهار خنثى . والأشجار المعمرة فقط هى التى تزهر ، أما الحديثة فلا يبدو عليها أزهار ، ولا تتكون الأزهار فى السنوات قليلة المطر .

الثمار : الثمار صغيرة جداً إذ أن قطر الثمرة لا يتجاوز نصف سنتيمتر كروية تقريباً داكنة اللون ذات قشرة رقيعة لا تؤكل .

ملكية الأشجار:

الأرض التى تنمو عليها أشجار العتم ملك للدولة هى وما عليها من أشجار ، ولكن تبعاً للعرف المحلى فإن كل قبيلة تحتكر منطقة من مناطق العتم لايحق لغيرها من القبائل أن ترتادها سواء للرعى أو تقطيع الأخشاب وتسمى هذه المنطقة « حمى » فيقال حمى بنى عمرو أو حمى بنى وائل . . . الخ .

ويقطع البدو من أصحاب هذا الحمى فروع أشجار الزيتون بصفة مستمرة حتى يتسبب عن ذلك تشويه شكلها (شكل رقم ٣) فتستعمل الفروع السميكة

(شكل رقم ٣)

صورة تبين التشويه الذى يصيب أشجار الزيتون البرى نتيجة لقطع الفروع لاستعمالها غذاء للماشية أولأغراض أخرى

قوائم للعنب وتستعمل الأوراق غذاء للجمال والبقر . أما الأغنام فلا تأكل أوراق الزيتون . وتستعمل أخشاب الأشجار المعمرة فى صناعة الأثاث وبعض الآلات الزراعية ، كما يصنع منها الفطران . وتستعمل الثمار فى الطب عند الأهالى .

مشروع تطعيم أشجار الزيتون البرى :

لما كانت أشجار الجنس « أوليا كريزوفيلا » هى المتخذة أصولا للتطعيم فى كثير من البلدان وخاصة تلك التى يشبه أو يتقارب جوها مع السعودية مثل الهند وأريتريا والصومال، وقد نجحت إلى درجة كبيرة تجارب قام بها الإيطاليون فى أريتريا ، لهذا اتجه تفكيرنا إلى وضع مشروع لتطعيم أشجار الزيتون البرى المنتشرة فى منطقة جبال السراه ، وقد رأينا قبل التقدم بمثل هذا المشروع ضرورة إجراء تجارب بتطعيم عدد من الأشجار البرية ببعض عيون الزيتون المثمرة ولتنفيذ هـــذه الفكرة تقدمنا للوزارة باقتراح لعمل تجربة التطعيم فى منطقتين بالقرب من الطائف روعى فى اختيارها جملة اعتبارات أهمها كثافة أشجار الزيتون البرى وقربها من مدينة حتى يتوافر للقائمين على العمل سبل الإقامة والمعيشة والمنطقة الأولى هى قرية نمرة والثانية منطقة الضباعين ، واقترحنا الوسائل الكفيلة بنجاح تنفيذ التجربة .

ونفذت التجربة فى منطقة الضباعين وتبعد نحو ٣٣ كيلو متراً عن مدينة الطائف ، وترتفع عن البحر بمقدار ١٥٤٠ متراً ، وقد طعمت الأشجار فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ — بعيون زيتون شملالى وقمنا بمعاينة الأشجار التى طعمت فى ١٩٥٧/٢/٢٧ ووجدت جميع العيون ناجحة ومتوسط طول الفرع الناتج من العين نحو ٣٠ سنتيمتر، ولم تجر أى عمليات خدمة زراعية للأشجار اللهم إلا عمل أحواض دائرية حول الأشجار حتى تستوعب كمية أكثر من ماء المطر .

وفى ضوء نجاح تجربة التطعيم اقترحنا التوسع فى المشروع ولكن لأسباب روتينية جمد المشروع بضع سنوات ثم بعث من جديد هذا العام ولقى اهتماماً كبيراً من سيادة وزير الزراعة الحالى .

وإذا أريد لمثل هذا المشروع أن ينجح فيجب أن تتوافر له جملة عناصر هى :

١ — كميات وافرة من المياه .

٢ — تحسين طرق المواصلات بإنشاء طرق ممهدة بين المناطق الكثيفة والقرى المجاورة .

٣ — إثارة وعى بين الزراع وعمل دعاية قوية للمشروع .

٤ — تدريب عدد كبير من الأهالى على عملية التطعيم .

٥ — إنشاء مشاتل من أصناف الزيتون التى تلائم هذه المنطقة الجبلية الجافة تؤخذ منها العيون وتكون المشاتل بجوار المدن والقرى الكبيرة .

٦ — إعطاء مهلة محددة — ثلاث سنوات مثلا — للقبائل أصحاب الحمى ليقوموا بتطعيم الزيتون فى مناطق حماهم فإذا لم يفعلوا ذلك خلال المدة المحددة تحرمهم الحكومة من حق الحمى .

٧ — إبعاد تنفيذ المشروع عن الروتين الحكومى .

أما عن توفير كميات المياه فإن المصدر الأساسى هو الأمطار وليست هناك أرصاد يعتمد عليها ، إذ أن الأرصاد لم تنشأ فى المنطقة إلا فى السنوات القليلة الماضية وإذا أخذنا باستقرار الظواهر كوسيلة للبحث اتضح لنا من نمو ملايين الأشجار من الزيتون البرى وغيرها من الأشجار الخشبية وتعميرها سنوات طويلة والمظهر العام لنموها الخضرى وتكوين الأزهار والثمار ، أن كميات الأمطار التى تسقط كافية لنمو الأشجار وإزهارها وإثمارها ، ويمكن الحصول على كميات أكبر من المياه وذلك بعمل مدرجات على سفوح الجبال وهى عملية تخصص فيها زراع المنطقة فهم أهل خبرة ودراية بها إذ ينشئون المدرجات (المصاطب) على سفوح المنحدرات لزراعة الشعير والقمح وبعض الحاصلات الأخرى .

والمناطق التى يتعذر فيها عمل المدرجات يمكن فيها عمل حلقة حول كل شجرة بحيث يكون لكل شجرة أو بضع شجرات حوض مرتفع البتن فإذا نزلت أمطار حفظت الأحواض كمية مناسبة من الماء .

وفى بعض المناطق فى بطون الوديان يمكن الإستفادة بعمل آبار ارتوازية تعتمد على المخزون فى باطن الأرض من مياه الأمطار وهى عادة كميات ضئيلة ولكن يمكن أن تغذى الأشجار ببعض الماء فى أشهر الصيف .

فإذا أضيف إلى ذلك العناية بالخدمة مثل التسميد وإزالة الحشائش ومنع الرعى ومقاومة الآفات فإن الأشجار ستجد فرصة أفضل للنمو .

ويبقى موضوع الماء أهمية إن لم يتساوى معه العنصر البشرى ، فلن يقدر لمثل هذا المشروع النجاح إلا إذا توافرت الرغبة الصادقة من زراع المنطقة للعمل مع مساندة الجهات الحكومية المسئولة مساندة تتحرر من العقد والإجراءات الروتينية المعروفة .

الخلاصة

وخلاصة القول فى موضوع الزيتون البرى بجبال السراه سرد الحقائق التالية :

١ — ملايين من أشجار الزيتون البرى نامية ومعمرة بالمنطقة .

٢ — هى من الجنس « أولياكريزوفيلا » ،

٣ — هذا الجنس هو الأصل فى غالبية أنواع وأصناف الزيتون الموجود فى العالم .

٤ — نجحت التجارب الأولية التى قامت بها وزارة الزراعة لتطعيم بعض الأشجار فى منطقة الطائف .

٥ — الأهالى هناك هم أهل خبرة بالزراعة الجبلية وعمل المدرجات .

وليس إذن هناك ما يحول دون نجاح مشروع لتطعيم هذه الأشجار اللهم إلا الإرادة القوية والعزيمة الصادقة من المزارعين والمسئولين .

ولو قدر لهذا المشروع أن ينجح لكان مصدر خير وبركة لا للسعودية وحدها ولكن لكل البلاد المجاورة .

وما قصدنا بتقديم هذا البحث إلا لفت الأنظار وإثارة الوعى حول هذا المشروع الذى يعتبر خافياً على أكثر الناس حتى فى السعودية نفسها . فلو وضعت الفكرة موضع التنفيذ وتعاونت الكفاءات العلمية ورؤوس الأموال مع إيمان المزارعين هناك بالفكرة فإن المشروع لا شك ناجح . وكل ما نرجوه أن يصبح هذا المشروع حقيقة قائمة فى المستقبل القريب .